الدرس (٠٢٣) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا نزال في باب المراقبة من كتاب رياض الصالحين لأبي زكريا النووي رحمه الله تعالى.

قال المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

٦١- (الثَّانِي: عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنادَةَ وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[١]، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ»).

جمع النَّبِيُّ ﷺ في هذا الحديث أصول المعاملة: المعاملة بين العبد وبين الله، وبينه وبين نفسه، وبينه وبين عباد الله.

أمَّا المعاملة مع الله: فإنَّها تقوم على أصلٍ عظيم، ألا وهو: تقوى الله عَزَّوَجَلَّ أينما كان العبد، قال: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ**»، فهي قائمة على المراقبة لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّ تقوى الله من ثمرة المراقبة، مراقبة الله في الأقوال والأفعال، في السِّرِّ والعلانية، والتَّقوى أصلٌ عظيم، بوجوده وثباته في القلب؛ تصلح أعمال العبد كلُّها، وقد جاء في الحديث: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ أشار إلى صدره وقال: «**التَّقْوَى هَاهُنَا**»[٢]، بمعنى: أنَّ القلب إذا صلح بتقوى الله؛ صلحت الأقوال والأفعال.

---

(١) رواه التِّرمذيُّ (١٩٨٧)، وصحَّحه الألبانيُّ.

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤).

وأما المعاملة بين العبد وبين نفسه، ففي قوله: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا»، أي: احرص على أن تستكثر من الحسنات، وأن يكون لك نصيب وافر من الطَّاعات والقربات الَّتِي تتقرَّب بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حتَّى تكون سببًا لمحو ما يقع فيه من اللَّمم والصغائر، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]، أمَّا الكبائر فلا بُدَّ فيها من التَّوبة.

وأمَّا المعاملة بينه وبين النَّاس: ففي قوله: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» أي عاملهم بالمعاملة الَّتِي تُحِبُّ أن تُعامَل بها، وهذا أحسن ما يقال في تعريف الخلق الحسن ، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِى يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»(٣) **أي يفعل معهم ما يحب أن يفعلوه معه وبذلك يزول الاختلاف ويحصل الائتلاف.**

والمُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أورد هذا الحديث في باب المراقبة لقول النَّبِيِّ ﷺ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ»، وهذا فيه: دعوة لأن يكون العبد في الغيب والشَّهادة، والسِّرِّ والعلن، وفي كُلِّ مكانٍ، مراقبًا ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٦٢- (الثَّالِث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ: أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٤)، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

---

(٣) رواه مسلم (١٨٤٤).

(٤) رواه التِّرمذيُّ (٢٥١٦)، وصحَّحه الألبانِيُّ.

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: «احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ: أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ: أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا»(٥).

هذا الحديث هو من جملة الأحاديث النَّافعة في باب المراقبة، مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّ الواجب على العبد أن يحفظ الله عَزَّوَجَلَّ بحفظ حدود الله، وحفظ أوامره، وملازمة تقواه، والقيام بما أمر به سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فإنَّ مَن كان كذلك حفظه الله، وكان الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى له معينًا ومُوَفِّقًا ومُسَدِّدًا.

وقد كان ابن عبَّاس رضي الله عنهما حين حدَّثه النَّبِيُّ ﷺ بهذا الحديث صغيرًا لم يبلغ الحلم، حدَّثه به مع صغر سنه تربية له منذ الصِّغر على هذه الأصول ، وهو حديث جليل يتضمَّنُ وصايا عظيمةً وقواعدَ كُلِّيَّةً من أهمِّ أمور الدِّين، حتَّى قال بعض العلماء: تدبَّرت هذا الحديث، فأدهشني وكدت أطيش.

قوله: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ» الجزاء من جنس العمل؛ قال الله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرَّحمن:٦٠]؛ والعمل المطلوب هنا الحفظ ، والمراد بحفظ الله أي حفظ حدوده؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التَّوبة:١١٢]؛ بحفظ أوامره، وحفظ نواهيه، وحفظها هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذِن فيه إلى ما نهى عنه، فمَن فعل ذلك، فهو من الحافظين لحدود الله الَّذِين مدحهم الله في كتابه ووعدهم بخير موعود، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ [ق:٣٢-٣٣]، وقد فُسِّر الحفيظ هنا: بالحافظ لأوامر الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها.

وحِفْظ الله للعبد يدخل فيه نوعان:

---

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٨٠٣)، وصحَّحه الألبانِيُّ في صحيح الجامع (٢٩٦١).

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرَّعد: ١١]، قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلَّوا عنه»(٦)، وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ مع كُلِّ رجلٍ ملَكين يحفظانه ممَّا لم يُقدَّر، فإذا جاء القدر خلَّيا بينه وبينه، وإنَّ الأجل جُنَّة حصينة»(٧).

والنوع الثاني من الحفظ وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه؛ فيحفظه في حياته من الشُّبهات المُضِلَّة ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته، فيتوفاه على الإيمان، ومن هذا القبيل ما ثبت في حديث عمر أن النبي ﷺ علَّمه أن يقول: «**اللَّهمَّ احْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَاعِدًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ قَائِمًا، وَاحْفَظْنِي بِالْإِسْلَامِ رَاقِدًا، وَلَا تُطِعْ فِيَّ عَدُوًّا حَاسِدًا**» خرجه ابن حبان في «صحيحه»(٨).

وحاجة العبد إلى حفظ الله له في هذه الحياة الدُّنيا وفي الآخرة أعظم الحاجات وضرورته إلى ذلك أشدُّ الضَّرورات؛ فعليه أن يأخذ بسبيل حفظ الله له، بأن يكون محافظًا على طاعة الله ملتزمًا بأوامر الله قائمًا بما أمره به تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ ليحفظه في نفسه وماله وأهله ويحفظه في دنياه وأخراه، وهو بحاجة إلى حفظ الله له في كُلِّ صباح ومساء، وفي كُلِّ يوم وليلة، وفي كُلِّ قيام وقعود، وفي جميع شؤونه؛ ولهذا ثبت في «سنن أبي داود» و«سنن ابن ماجه» وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يكن يدَعُ هؤلاء الدَّعوات حين يمسي وحين يصبح: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ**

---

(٦) رواه الطَّبريُّ في تفسيره (١٥٣٤٥).

(٧) رواه الطَّبريُّ في تفسيره (١٥٣٧١).

(٨) رواه ابن حبَّان في صحيحه (١٧٩٧)، وصحَّحه الألبانيُّ.

خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[٩]. فكان ﷺ يسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يحفظه في كُلِّ صباحٍ ومساءٍ.

قوله: «احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ» أعاد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الوصيَّة ثمَّ ذكر ثمرة أخرى وما أعظم الثِّمار وأكثر العوائد الَّتِي يجنيها مَن حقَّق هذا الحفظ. «تَجِدْهُ تُجَاهَكَ»، وفي الرِّواية الأخرى: «تَجِدْهُ أَمَامَكَ»؛ والمعنى تجده تجاهك و أمامك حافظًا ومُسَدِّدًا ومُؤَيِّدًا ومُعِينًا وناصرًا. ونظير هذا ما جاء في الحديث القدسيِّ قال الله جَلَّوَعَلَا: «مَا تَقَرَّبَ عَبْدِي إِلَيَّ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي عَلَيْهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[١٠]؛ فقوله: «كُنْتُ سَمْعَهُ»، «كُنْتُ بَصَرَهُ»؛ أي كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُسَدِّدًا له في سمعه وفي بصره وفي يده وفي قدمه وفي سائر حواسِّه.

قوله: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ» أي أخلص سؤالك لله فلا تسأل غيره، وأخلص استعانتك به فلا تستعن بغيره، وفي هذا جمع بين الغاية والوسيلة كما هو في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]؛ ف﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: غاية؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذَّاريات:٥٦]. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: وسيلة، فلا يمكن لك أن تُحَقِّق الغاية -الَّتِي هي العبادة- إلَّا بهذه الوسيلة التي هي عون الله لك، وقد كان الصَّحابة رضي الله عنهم يقولون: لولا الله ما اهتدينا ولا صمنا ولا صلَّينا؛ والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النُّور:٢١]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات:٧-٨].

---

(٩) رواه أبو داود (٥٠٧٤)، وابن ماجه (٣٨٧٤)، وصحَّحه الألبانيُّ.

(١٠) رواه البخاريُّ (٦٥٠٢).

فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: تحقيق لـ«لا إله إلَّا الله»، وقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: تحقيق لـ«لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله».

وممَّا يعينك على الاستعانة بالله والالتجاء إليه وحده أن تعلم الآتي ذكره في الحديث:

قال: «**وَاعْلَمْ: أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**». أي لو اجتمع النَّاس كلُّهم من أجل أن ينفعوك بشيءٍ، لا يمكن أن ينفعوك إلَّا بشيءٍ كتبه الله لك، وكذلك في باب الضُّر، لا يمكن أن يضرُّوك إلَّا بشيءٍ كتبه الله عليك، فالأمر بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو المُتَصَرِّف في هذا الكون كيف يشاء «**رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**»، أي: بما هو كائن.

قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر:٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام:١٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

وإذا فهم المسلم هذا الأصل العظيم والأساس المتين قويت صلته بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وعظم توكُّله عليه، وكان من أقوى النَّاس إيمانًا ومن أصحِّهم عقيدة.

قوله: «**تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**»، أي: عليك أن تحرص في حال رخائك وصحَّتك وعافيتك وشبابك وقوَّتك، أن تتعرَّف إلى الله عَزَّوَجَلَّ، بمعرفته، ومعرفة أسمائه، ومعرفة عظمته، ومعرفة دينه، والإقبال عليه، «**يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**»، جزاءً من جنس العمل، فإذا أصابتك الشَّدائد تجد أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى معك حافظًا وناصرًا ومُؤَيِّدًا.

قوله: «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ»، أي: أنَّ الأمور كلّها مُقَدَّرة، فالَّذِي أصابك مقدَّر، ولا بُدَّ أن يقع طبقًا لما قُدِّر، وكذلك ما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ لأنَّ الأمور كلَّها بتقدير العليم الحكيم سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قوله: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا»، هذا أيضًا فيه أنَّ العبد إذا ضاقت به الأمور وتعسَّرت، واشتدَّ الكرب؛ جاء الفرَج، وجاء التَّيسير، وجاء النَّصر، ففي هذا: أنَّ العبد لا ييأس ولا يقنط، إذا اشتدَّت به الأمور، فإنَّ الفرج قريب.

والحاصل: أنَّ هذا الحديث من الأحاديث العظيمة في باب المراقبة، وحفظِ حدود الله في السِّرِّ والعلانية، وأنَّ هذا يورث العبد حفظًا من الله له، جزاءً من جنس عمله.

قال المصنف رحمه الله:

٦٣- (الرَّابِع عَنْ أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ[11].

وَقَالَ: «المُوبِقاتُ»: المُهلِكَاتُ).

هذا الحديث فيه بيان عظم شأن مراقبة الله عَزَّوَجَلَّ، الَّتِي تثمر الخشية من الله والخوف منه سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، كما هو حال الصَّحابة الكرام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، حيث يصفهم أنس في عظم خشيتهم لله عَزَّوَجَلَّ، أنَّ الذُّنوب الصَّغيرة الَّتِي لا يُلْقِي النَّاس لها بالًا كانوا يتعاظمونها ويتجنَّبونها ويحترزون من الوقوع فيها، ويعدُّونها من الموبقات، كُلُّ ذلك خوفًا من الله، ومراقبةً لله، فهذا فيه كمال إيمانهم وخوفهم ومراقبتهم ، وأنَّ العبد ينبغي عليه في هذا المقام أن يتأمَّل في حياة الصَّحابة وأخبارهم، ليتأسَّى بهم، ويقتدي بهديهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

وها هو أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يشرح للتَّابعين حال الصَّحابة فيقول: (إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ)، أي: ترونها شيئًا يسيرًا، ليست بذي بال، و(كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ).

---

(١١) رواه البخاريُّ (٦٤٩٢).

وهذا فيه: أنَّ العبد كُلَّما قوي إيمانه؛ قويت خشيته لله، وأيضًا قوي تجنُّبه للذُّنوب وبعدُه عنها، كما جاء في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه عند البخاريِّ موقوفًا عليه، قال: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا »، ففرقٌ بين من عُمر قلبه بالإيمان والخوف والمراقبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبين مَن ليس في قلبه ذلك.

هذا ونسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا؛ إنه سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.